و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

اللهم أنت الهادي

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٧/٧/١٤٤١هـ

اللهم أنت الهادي

هل مرَّبك في مواقف الحياة أنك لا تستطيع اتخاذ القرار بين شيئين؟

-على سبيل المثال-أن تكون محتارًا بين عرضيين وظيفيين، أيَّ واحد منهما تختار، تحتار بين طريقٍ يقودك إلى الشمال وآخر يقودك إلى الجنوب، تشعر أحيانًا بأنك توصّلت إلى معرفة الطريق الصحيح الحق الذي يرضي الله -عزوجل-! لكن لا تجد في نفسك استطاعة أن تسلكه، أو لا تجد في نفسك الرغبة لذلك، رغم أنك متيقن يقينًا جازمًا بأن هذا هو الصحيح الذي يجب أن يُفعل.

أم هل مرت بك مواقف شعرت فيها بأنك حائر أو تائه يصح فيك قول الله -عزوجل-:"حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ" (الأنعام:72)، ائتنا تعني: تعال معانا. ولكن في نفس الموقف هناك أصحاب يدعونك إلى طريق الشر ويقولون لك: تعال. فأنت في حيرة بين دعوة الملك ودعوة الشيطان، هل صادفتك هذه الحيرة؟

وهل مرَّبك شعور بأنك تتوق إلى فعل أمرٍ لكنك لا تستطيع فعله؟ كل هذا دواؤه في معرفة شيء واحد.

ذكرنا في درس سابق أن من استعداداتنا لشهر رجب أن نعزم فيه على التقرب إلى الله -عزوجل-،ولاشيء يمكن أن يقربنا إلى الله -عزوجل- مثل معرفته، وهذه من الأهمية بمكان، فلو مرَّت بك تلك المواقف التي ذكرنا أمثلةً لها آنفًا-وقد يكون ما مرّ عليك من الأمثلة أكثر- خصوصًا شعورك بألمها حين ترى طريق النور أمامك ثم تصدّ عنه ولا تسلكه.

حديثنا اليوم عن اسم الله (**الهادي**)، الذي يهدي الإنسان ليس إلى معرفة الطريق فحسب، وإنما إلى معرفة الطريق والاستمرار في السير عليه، إذًا نحن لا غنى لنا عن هاتين الهدايتين:

1- هداية معرفة الطريق الحق.

2- ثم أن يعطينا الله -عز وجل- القوة والهداية الكافية كي نستمر على هذا الطريق.

ومثال ذلك: حينما يتيه شخص ما في الصحراء سيكون بحاجة إلى دليل يدلّه على الطريق، فلو أن رجلًا لا تثق بخبرته أرشدك إلى طريقٍ سهلٍ ملتوٍ قد يوصلك وقد لا يوصلك، وأرشدك آخر أكثر منه علمًا بطرق الصحراء إلى طريقٍ مستقيمٍ شاقٍ، ولكنه يوصلك إلى وجهتك، ستكون مرتاحًا إلى صحة هذا الطريق، ولكنك بحاجة إلى هداية لكي تتحمل في السبيل كل الصعوبات: من حرّ التربة، وطول الطريق، والاستمرار حتى الوصول.

وهذا ما نعنيه حينما نقول: هداية إلى الطريق وهداية على الطريق.

فدعونا نبدأ مع اسم الله الهادي.

ودعونا نتخيل أنفسنا في هذه الصحراء، كم ستكون حاجتنا إلى هداية الله في صحراء الحياة؟

وحينما نعود إلى معنى اسم الله الهادي: فإنه ليس الدليل والخبير فحسب، بل هو الذي يدلُّ برفق.

ومن المعاني القريبة لها: الرشاد، والاسترشاد، والنور. فالطريق لا يمكن أن يُسلك من غير نور يضيئه، فالظلام يشير إلى غموض فيه شرّ، والوضوح يشير إلى الطريق الصحيح.

ولذلك تجد القلب ينشرح إذا فعل العبد الصواب، نفسه تسكُن وترفرف، وبالمقابل حين يذنب ذنبًا واحدًا يجد قلبه يضيق ويسودّ، هذا الضيق والسواد الذي يشعر به هو إحساس حقيقي، يشعر المرء أحيانًا وكأنه يتنفس من ثقب إبرة دون أن يعرف السبب!

ورد اسم الله الهادي في موضعين في كتاب الله -عز وجل-:

1- "وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الحج:54)،تصوّر معي ذاك الظالم لنفسه حين اتخذ طريقًا أعوجًا في الصحراء، يصعد فوق الجبال ثم يهيم في الوديان معرضًا نفسه للألم والعناء، في كل مرة يجرب طريقًا جديدًا لعله يوصله إلى وجهته، وبالمقابل هناك نفس مطمئنة، رسمت طريقها ومعها بوصلة واضحة تتجه بحسبها، تعرف من يجب عليها أن تُرضيه؟ ومن تتبعه في قراراتها وأفعالها؟ وإلى أين تتجه؟ فرقٌ شاسعٌ بين الحياتين!

2- الآية الأخرى التي ذكر فيها اسم الله الهادي: "وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (الفرقان:31)، فجمع الله بين الهداية والنصرة في هذا الموضع.

من الأدعية التي نكررها في الحد الأدنى سبع عشرة مرة في اليوم: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" (الفاتحة: 6)،ما الذي يخطر ببالك حين تسأل الله الهداية؟ما هي معاني الهداية التي تجول في خاطرك؟

أنواع الهداية:

للهداية أربعة أنواع:

1- **الهداية العامة:**

عامة لكل الخلق، يهدي بها الله الكافر والمؤمن والإنسان والحيوان، فمن أمثلة هداية الله للحيوان: هجرة الأسماك في المحيط الأطلنطي، هجرة أسماك السلمون الحوامل التي تهاجر لتضع بيوضها على سواحل أفريقيا، ثم إذا بتلك البيوض بعد أشهر تفقس وتلحق بأمهاتها عبر المحيطات، من الذي هداها في وسط البحار؟

واسأل عن هدايات النحل، وعن هجرة الطيور التي تهاجر بطريقة دقيقة جدًا من مكان إلى مكان لا يتخلف عنها واحد، إذًا هذا الكون يتحرك بأمر الله -عزوجل-وبهدايته العامة لجميع الخلق، الإنس والحيوان، البرُّ والفاجر.

2- **هداية الدلالة.**

حينما سأل فرعون موسى -عليه السلام-في قول الله تعالى:"قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ" (طه: 49,50)، أي أن الله -عز وجل- ما خلق الخلق ثم تركهم هملًا، وإنما خلقهم ثم هداهم إلى مايجعل به استمرار حياتهم، فمن الذي هدى الطفل الصغير أن يلتقم ثدي أمه ويشرب من الحليب دون أن يتوه؟وليس هذا للبشر فحسب، بل الحيوانات كذلك، فالقطط كما هو معلوم تولد عمياء لا ترى، وتذهب لأمها وتتحسس مكان غذائها وتشرب.

كما هو الحال في القصة المعروفة للحيّة التي كان يأتيها الطير، لاحَظَ تردد الطير عليها شخصٌ كان نائمًا في الصحراء، فلما أزال الأعشاب وجد حية عمياء لا ترى ولا تتحرك من مكانها، ويسوق الله -عزوجل- هذا الطير يهديه إلى هذه الحية يعطيها رزقها.

ووردت كثيراً في الكتب قصة القنفذ الذي كان يأكل من حية ميتة في مزرعة، لاحظ البستاني الذي كان في المزرعة أن القنفذ يأكل لقمة من هذه الحية ومباشرة يأكل بعدها لقمة أخرى من نوع معيّن من الشجر، ثم ينهش من الحيّة نهشة، ثم يلتفت إلى هذه النبتة وينهش منها نهشة، فاستغرب البستاني وأخذ الشجرة ومنع القنفذ منها، نهش القنفذ من الحية وعاد يريد أكل النبتة فما وجدها، فما لبث القنفذ يسيراً حتى مات، من الذي هداه إلى أنه يجب أن يأخذ من هذه النبتة ليذهب أثر السمّ الموجود في جسد الحية؟

وإذا أردنا أن نعرف ماذا تعني هداية الدلالة بالنسبة للإنسان؟ فهي تعني كل الأسئلة التي يتساءل حولها الناس، من أين أتيت؟ إلى أين أصير؟ ما الذي سيحدث بعد الموت؟ لماذا أعطاني الله القدرة على التفكير والتحدّث والعقل؟ ما الذي يميزني عن سائر الكائنات؟ولمَ أجد في نفسي ضرورة لمعرفة الخير والشر؟

والذي وُلد مسلمًا يجد الإجابات حاضرةً لديه، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل؛ لأن هناك عالم غيبي لا يمكن للإنسان معرفته دون الرسالات، لو لم يكن لدى الإنسان أجوبة لهذه الأسئلة الأساسية فستتحول حياتُه إلى جحيم. ولذا أرسل الله الرسلَ وأنزل الكتب؛ فلا أحدٌ أحبَّ إليه العذر من الله، الله يحبُّ أن يقيمَ الحجةَ

على عبادِه، فلا يمكن لأحدٍ أن يقول يوم القيامة: يارب لم أكن أعلم، ولم يقل لي أحدٌ أن هذا الأمر محرم، يقول الله -تعالى-:"وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا" (السجدة: 24)، فكان الرسلُ والدعاةُ-من بعدهم- يهدون الناسَ إلى طريقِ الله -عزوجل-.

وكما ذكرنا في بداية الدرس كثيرٌ من الناس يعرف، لكنَّ مجرد المعرفة لا تكفي لتحقق الهداية والإرادة والعزيمة على الاتباع.

3- هداية التوفيق.

وهي أن يوفقك الله لفعل الخير، لفعل الشيء الصحيح الذي عرفته وقامت عليك الحجة بتعلمه، فلا يكون حالك كمن يسمع الحق من أذن ويخرجه من الأخرى! فلا يغير في حياته شيئًا.

عندما يهديك الله هداية التوفيق فإنه ينقلك من الظلمات إلى النور، ويحيي ميتًا كان في قلبك.

يقول الله -عز وجل- لنبيه وهو يحاوره في عمه أبي طالب لما حضرته الوفاة، فجاءه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله" [أخرجه البخاري، صحيح]فلما مات عمه على كفره وقال هو على ملة عبد المطلب، حزن النبي -عليه الصلاة والسلام- حزنًا شديدًا؛ لأن عمه هو الذي وقف في صفه مدافعًا عنه، وبذل الكثير في الصدّ عنه حتى بلّغ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعوته، فكان يحامي النبي عنه بسمعته وجاهه وماله من أجل النبي -عليه الصلاة والسلام-، لكنه لم يسلم، فأنزل الله -عز وجل- في عام الحزن: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (القصص: 56)، لو استطاع الإنسان أن يغرس الهداية في قلب من يحب غرسًا لفعل! لأن أعظم ما يمكن أن تقدمه لإنسان هو أن تهديه الهداية، ولكن الهداية لا تأتي بهذه الطريقة، بل هي من عند الله -عز وجل-.

ولذلك جاء كثيرًا في أدعية الأنبياء سؤالُ الله الهداية: فقال موسى -عليه السلام- في قول الله تعالى: "قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ" (القصص: 22)، وقال يوسف -عليه السلام- في قول الله تعالى: "تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (يوسف: 101)، وقال سليمان -عليه السلام- في قول الله تعالى: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"(النمل: 19)، كل هذه الأدعية هي في حقيقتها تتضمنُ سؤالَ الله الهداية، مع أنهم الأنبياء الذين عصمهم الله وكمّلهم، إلا أنهم كانوا بحاجة إلى هداية الله-عز وجل-.

<u>وقد أرشدنا -عليه الصلاة والسلام- إلى أن نكثر من سؤال الله -عز وجل- الهداية:</u>

1) فأوّل ما نستفتح به قيام الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[أخرجه مسلم، صحيح]متى يسنّ هذا الدعاء؟ لا يسنّ قوله في وقت الجدل والمحاجة أو

أننا نذهب لندعو بهذا الدعاء عند وقوع الاختلاف، لا، وإنما الهدي النبوي أن تقوله في استفتاح قيام الليل، لا أحد يراك ولا يسمعك إلا الله -عز وجل-، لو لم يهدِك الله إلى الحق لبقيت مشتتًا، ولكانت الصورة عندك (رمادية) معرفةً وإرادةً.

2) يأتي علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- للنبي -صلى الله عليه وسلم- ويقول: يا رسول الله! أوصني. ومكانة علي -رضي الله عنه- عند النبي -صلى الله عليه وسلم- عظيمة جدًا، فهو الذي استأمنه أن يبيت في مكانه، وأن يرد الأمانات إلى أهلها، ويدخل في أكبر عملية فدائية والمشركون مجتمعون حول بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- يريدون قتله فيتفرق دمه بين القبائل، فيكون علي -رضي الله عنه- الذي يبيت في فراشه فداءً له، فحينما يطلب من النبي -صلى الله عليه وسلم- وصية لن تكون إلا وصية عظيمة تهديه إلى ما فيه الفوز والفلاح، فقال له -صلى الله عليه وسلم- كلمتين: «قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، ...»[أخرجه مسلم، صحيح]وهاتان الكلمتان فيهما جماع الفلاح: «...، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ»[أخرجه مسلم، صحيح] حينما تدعو بهذا الدعاء تذكر ذاك الإنسان الضائع في طريقه لا يعلم إلى أين يتجه؟ اسأل الله الهداية بأن ترى الطريق الحق، فلا يحيد مسارك عنه إلى الطريق الخطأ، أو أن تُمنع عنه وتؤصد أمامَك أبوابُه، ثم تذكر بالسداد سداد الرامي الذي يأخذ سهمه ويضعه في قوسه ثم يُهدى للنقطة المرادة، فتسأل الله أن يسددك للموقف الصحيح، والقول الصواب، والفعل الصواب في اللحظة الصحيحة، ففي بعض الأحيان قد تكون لديك المعرفة بالحقيقة ولكنك لا تقولها في الوقت الصحيح، وقد يخطر لك الكلام ولكن بعد انتهاء الموقف.

3) من الأدعية الواردة: قوله صلى الله عليه وسلم:«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، ..." [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]وأنت بهذه الدعوة تعلن أن كل هؤلاء الذين اهتدوا ما اهتدوا من عند أنفسهم، فتتذكّر فلان من الصالحين وفلانة من الصالحات والعباد الذين يُذكر عنهم الختمات الكثيرة أو قيام الليل في أجزاء طويلة، يمر في خاطرك حينما تقول: "اللهم اهدني فيمن هديت" جلَدُهم وصبرُهم على العبادة والطاعة، وقدرةُ بعضهم على أن يتخذ قراراتٍ في حياته ما استطاع غيرُه أن يتخذها، فتتذكّر بهذه الدعوة بأن الله هداهم وذلّل أجسادَهم وطوّع نفوسَهم لطاعته، وتتوسّل إلى الله بأفعاله، وإحسانه.

4) ومن جوامع الدعاء التي علمنا إياها النبي -عليه الصلاة والسلام قال: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[أخرجه مسلم، صحيح]ويطول الحديث على كل واحدة من هذه الأربعة، إذ أن فيها كل الخير للأنفس، دواء الشهوات، والهدى من الحيرة والضياع، والغنى لكل الاحتياجات المادية، وعفّة الجوارح، فهو من جوامع الأدعية التي تختصر عليك الكثير من العبارات، ويعينك بفضل الله على نفسك، هداية الدلالة يقوم بها كل داعية، لكن هداية التوفيق لا يملكها إلا الله -عز وجل-، قال الله -تعالى-: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (القصص: 56).

4- هداية النعمة.

الهداية الرابعة والأخيرة هي: الهداية إلى الجنة. وقد يُظن أن الهداية إلى الجنة هي تحصيل حاصل؛ لأنه لو هدي هداية التوفيق في الدنيا فبالتأكيد سيهديه إلى الجنة.

وهنا لابد أن نقف قليلًا وقفة محاسبة مع أنفسنا نتساءل فيها: إلى أين أتجه؟ إلى أين أُهدى؟ لأي شيء أحيا؟كل واحد منا يسير على طريق، حاسب نفسك إلى أين يوصلك الطريق الذي أنت تسير عليه؟وتفقّد نتيجته هل هي ما تريد الوصول إليه؟

الهداية في الآخرة نوعان: هداية إلى الجنة وهداية إلى النار، قال الله -عزوجل-:"احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (22) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ" (الصافات: 22،23)، ما كانوا يعبدون من دون الله من معبودات ما استطاعوا أن يترفّعوا عنها ولا أن يتخففوا منها.

في المقابل فإن الله -تعالى- يخبرنا عن أهل الجنة أنهم يقولون بعد دخولها: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ" (الأعراف: 43)، هذا هو شعور المنة والاغتباط بنعمة الله، فلولا هدايته لنا وأنه رزقنا القوة والإرادة وهدانا هداية التوفيق ثم هدانا إلى الجنة؛ لما كنا من أهلها،

ويقول الله -عزوجل- في سورة محمد: "سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ" (محمد: 5)، جاء في تفسير هذه الآية أن أهل الجنة أعرف بمنازلهم في الجنة من بيوتهم في الدنيا، لو كنت في أي شارع في مدينتك ألست تعرف طريق العودة إلى بيتك الذي عشت فيه سنوات؟أما أهل الجنة ففي أول يوم يدخلونها -نسأل الله من فضله-ولأول مرة يرونها عيانًا بعد أن كانوا يسمعون عنها، عن هوائها وريحها واستقبال الملائكة لأهلها، عن منازلها التي من الذهب والفضة، عن قصورها وخيامها وأنهارها التي تتفجر من فردوسها، فإذا دخلوها لم يتيهوا، ولا يحتاجون لسؤال: أين مكاني؟بل يسيرون في الجنة وكل واحد منهم يعلم مكان بيته: "سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ"،

فرق بين هؤلاء وبين تخاصم أهل النار، الذين كانوا في الدنيا يدعو كل واحد منهم الآخر إلى الشر، ويقول: (ستعيش في الدنيا مرة واحدة! لا تكون (مطوع) زاهد! لمَ تلبسين وتغطين ...)ما الذي سيحدث إذا دخلوا النار -والعياذ بالله- ؟"كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا" (الأعراف:38)، يقولون: "رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ" (الأعراف: 38)،ويشتكون، ويسألون:"رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ" (فصلت: 29)، شتان بين هذا التخاصم وبين ذلك النعيم في الجنة، فعندما تسأل الله أن يهديك لا تنس تلك الهداية الأخروية: أن يهديك الله إلى الجنة.

وتلك الهداية لابد لها من هدايات قبلها، قال الله -عزوجل-: "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (محمد: 17)، هذه الآية بشارة بهداية لامنتهية، كلما اهتديت اتقيت، وكلما اتقيت اهتديت وزادك الله هداية، فإذا ازددت هدايةً ازددت تقىً، وإذا ازددت تقىً ازددت هداية، بلا توقف، وهي مراتب، كل مرتبة أعلى من الأخرى، وليس لها حد.

قد يقول قائلٌ بأن فلانًا إنسانًا هاديًا مهديًا ولا يحتاجُ إلى مزيدٍ من الهداية! ولا يوجد ذلك في الحقيقة، بل على مستوى ذاتك لا تظنّ يومًا أنك بلغتَ الكمالَ في جانب، وترضى عما وصلتَ إليه وتقول: أنا راضٍ عن نفسي، أنا كاملٌ في هذا الجانب. فقط لأنك أصبحت أفضل من نفسك سابقًا! لا ترضَ عن حالك رضًا يجعلك لا تستزيد، بل اطلب من الله المزيد من الهداية ومن التقى، وستجد نفسك في ترقٍّ دائم -بإذن الله-.

وجاءت هذه الأنواع الثلاثة الأخيرة في قول الله -تعالى-: "وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (الحج:54)، اجتمعت أنواع الهداية الثلاثة: هداية الدلالة؛ فقد دلّهم إلى الصراط المستقيم في الدنيا، ووفقهم لسلوكه، وهداهم هداية النعمة وهي هداية دخول الجنة يوم القيامة.

أسباب الهداية:

لابد من بذل السبب حتى تُنال الهداية، فإن الله -عزوجل- يقول في الحديث القدسي:"يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ..."[أخرجه مسلم، صحيح]، وهذه حقيقة اسم الله الهادي. ينبغي لنا أن نتلمس طريق الهداية ونستجلبها حتى تُفتح لها قلوبنا ونكون أحرى بهداية الله -عزوجل-أن تتنزل على قلوبنا.

1- قد تستغرب السبب الأول وهو: **أن تتعلم في مدرسة الخلق.**

فإن الله -تعالى- لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يعظمه في كتابه بقوله:"قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ" (يونس: 101)، "أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ"(الأعراف: 185)،وأي أمر يأتي تكراره في القرآن يجب أن ترعيه سمعك، وأن يكون له نصيبًا من اهتمامك؛ لأن التدبر ضروريّ لحياة القلب، تأمل في قول الله -عزوجل-:"وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ" (الأنعام: 75)، هو لم يرَ شيئًا غريبًا، ما انفتحت له أبواب السموات فرأى من أمور الغيب، لا، وإنما رأى السماء، هي نفسها السماء، والأرض هي الأرض، لكن الذي أراه الله ليس بالبصر فحسب، وإنما أراه ما رأى بالبصيرة، فترى بالبصيرة العالم بنظرة مختلفة،

عندما تعود من دوامِك يومًا ما، وترى في طريقِك السماءَ الصافية أو الغيومَ الملبّدة، لا تسرح فيها! أو تلتقط صورًا وتسجل عليها إعجابَك بجمال الجو، بل تذكّر حينها أن للسماء أبوابًا، وأن الملائكة تصعد بأرواح المؤمنين، وأنه لا يوجد موضعُ أربع أصابع إلا وملكٌ ساجدٌ أو راكع، عن النبي عليه الصلاة والسلام:«... إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، ...»أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن.

هل تخيلت كل هذا؟عندما تنظر إلى السماء بأنها شيء أزرق متسع فقط فأنت تنظر إليها ببصرك المجرد، أما عندما تتفكر في أبوابها وأطيطها وملائكتها، وأنها سبعًا طباقًا، وأن الله يحيط بهذا كله علمًا، فتحتسب هذا التفكر وتؤجر عليه -بإذن الله-، ثم تلتفت إلى الأرض التي تمشي عليها، أتظن أن هذه الأرضَ التي نحن جلوسٌ عليها لا تشهد يوم القيامة؟ بلى والله تشهد بالأسماء والكلمات التي قيلت عليها،لمَ كان الحسابُ يوم القيامة عسيرًا على بعضهم؟ لمَ يقفُ الناسُ خمسين ألف سنة؟ لأنها محكمةٌ كُبرى، وفيها شهود، فإذا جاء إنسانٌ وأنكر وقال: لا لم أفعل، لم أفعل. يؤتى له بشهود، ومنها الأرضُ التي فعل عليها، ذاك المجلسُ الذي جلسَ فيه مع أصحابِه، وظنوا أنهم أغلقوا الأبواب جيدًا، أو اختاروا طاولةً منزويةً في مكان لا أحد يراها، يظنون ألا أحدًا يراهم وهم على هذه الأرض التي في مشارق الأرض أو مغاربها أو في أحد الأرياف، ليس كذلك، بل إن هذه البقعة تشهد، حتى أن الشجر يشهد، لو كنت تقرأ الكونَ بهذه الطريقةِ وعيناك مفتوحتان لتأمّل هذه المعاني فلا يمكن أن تذنبَ وتعصي بقلب بارد، لن تستطيعَ وأنت تشعرُ بأنّ لكلّ ما حولك(عيون)تشعر بك وتراك، لو أن الذي بجوارك نبتة فإنك ستخاف حتى من شهادة هذه النبتة؛ لأن كل هذه الأشياء سيستشهدها الله -عزوجل-علينا، ولذلك حينما قال الله -عزوجل-:"أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ" (الغاشية: 17-20)، ما الذي جاء بعدها؟: " فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ" (الغاشية: 21)، الذكرى تكون

أكثر نفعًا بعد استنهاض الهمة برؤية هذا الكون، افتح منافذ قلبك وكن طبيب نفسك، لا تنكفئ على نفسك، لا تضع بابًا واحدًا، وإنما استقبل ما عند الله -عزوجل- من هدايات، وهذه الهدايات هي ماتراه في هذا الكون، من أشياء تسبح بحمد الله -عزوجل-.قال الله -تعالى-:"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ" (فصلت: 53).

2- السبب الثاني من أسباب الهداية: **الاستماع للقرآن والعيش معه**.

ولا يكاد يمر درس دون أن نقول فيه: أن القرآن هو منهج حياة، فلن تستطيع السير في الدنيا دون أن يكون لك حالٌ وعلاقةٌ مع القرآن، وهذه العلاقة لابد أن تكون حفظًا، تدبرًا، تفسيرًا، استنباطًا للدروس، كيف هي علاقتك مع القرآن؟ متى كانت آخر مرة جلست فيها مجلسَ تفسير؟ أو قرأت من كتاب تفسير؟ لو تأخذ مختصر تفسير، أو تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي (ومن فاته تفسير السعدي فقد فاته الكثير، خصوصًا أنه من المعاصرين ويتكلم بلغة قريبة منا)، هذا القرآنُ الذي أنزلَه الله ليكون شفاءً ورحمةً لك، حذارِ أن يمر العمر ولم تقرأ في تفسيره، رغم أن الله -عزوجل- يقول:"إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" (الإسراء: 9)،ماذا تعني "أقوم"؟ يعني الأفضل والأحسن، فإذا كنت تبحث عن الهدى، فإن الهدى في هذا القرآن؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم، يهديك لأحسن الطرق في معاملاتك الاجتماعية، في معاملاتك المادية، في حياتك، في نفسك.

وهنا نماذج من قصص القرآن في الهداية:

1) تأمل كيف يرشدك القرآن ويعيد توجيه البوصلة، ففي قصة امرأة عمران -عليها السلام-، تلك المرأة الحامل، ماذا كانت نيتها في حملها بالولد؟وماذا عن غيرها من النساء ما هي نواياهن من الحمل في المعتاد؟يقولون حتى يعينك في كبرك، يحملك ويحمل عنك الأذى، أولًا يُخشى أن هذا يكون فيه نوعٌ من ظن السوء، تظن أنك ستحتاج إلى أحد،

والأمر الآخر هو أنك جعلت النية من الإنجاب شيئًا ينفعك في الدنيا فقط، الذي نتعلمه من قصة مريم -عليها السلام-أن أمها لما كانت تسأل الله الولد ماكانت تسأله لنفسها، ولا حتى تحصّل لذة الطفل، ولا لأنها تزوجت فلابد أن تحمل! إنما كانت النية إنجاب الولد الصالح الذي ينفع بعد الموت، أن تبحث عن امتدادٍ لاينتهي بالموت. كانت تقول إحدى الأمهات وطفلها صغير عمره ثلاث أو أربع سنوات: أنا لا أربي ولدي لنفسي، أو لأني أشعر أنه لي، بل أربيه من أجل الأمة، أعدّه لأن يكون شيئًا عظيمًا.

هكذا يصوغ لك القرآن تصوراتك، ويجعلك تبحث حول الهدف من الزواج، من الحمل، من العمل، حتى من الجلوس في البيت أومن مخالطه الناس، كل ما نفعله ينبغي ألا يكون عبثًا، وكم من الأجور التي تكون للإنسان بسبب احتسابه وتعدد نواياه، وهنا أم مريم -عليها السلام- سألت الله أن يعيذها وذريتها من الشيطان الرجيم، فرزقها الله هداية مريم، والذي جعله في بطن مريم نبيه عيسى -عليه السلام-،وتكفّل الله برزقها، وكفّلها نبيًا من أنبيائه، وجعل فاكهة الصيف تأتيها في الشتاء، وفاكهة الشتاء تأتيها في الصيف، سألت أمها شيئًا واحدًا ولكن من بركة النيات الطيبة أن الله يسوق لك من العطايا ما لم تتخيل، لأن الله إذا هداك"وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (الفرقان: 31)، تولاك بالنصرة في كل منعطف في حياتك، فيهديك وينصرك، ويسخر لك من يقوم بهذه النصرة.

2) وفي قصة أصحاب الكهف، أولئك الفتية الذين آمنوا،لم يكن العجيب فقط أنهم لبثوا في الكهف،وتكفل الله بهم، والشمس تزّاور عن كهفهم ذات اليمين، بل قبل ذلك الإعجاز في أن الله قذف الهداية في قلوبهم، وفتح لهم أنوارها، رغم أنهم في قوم جاهلية، وفي عيد، في موسم اللهو، والطقوس الشركية، وهم كانوا فتية يُظنّ أنهم سيكونون الأسبق إلى كل فساد، كما هو الحال في كثير من الشباب -هداهم الله- مع قلة الوازع، لكن الله يختص هؤلاء الفتية ويقذف في قلوبهم الهداية فكانت الكرامة لهم قبل أن يلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا؛ كرامته لهم أنْ قذف في قلوبهم الهداية، والهداية نور يقذفه الله -عزوجل-في قلب من يشاء.

3- السبب الثالث من أسباب الهداية: **التأمل في أفعال الله**.

فكما أنه من مقومات الهداية أن تفتحَ محطات الاستقبال لديك، فتُعمل عقلك وتفكيرك في الذي يحدث حولك في الكون، وتأمل الحكمة وراء ما يحدث، يحدث أحيانًا أن تغيب الحكمة عن الإنسان ويشعر أن كل ما يحدث حوله يسير بالعكس وأنه غير قادر على تحقيق أهدافه، لكن عندما يتلمّس الإنسان حكمة الله -عز وجل- يجدها قريبة، قد لا تعرف حكمته في الحال، ولكن تأمل فيما حدث لك قبل سنتين، أو ثلاث سنوات، تتفتح لك الدنيا، وتؤمن بأن ما كتب الله لك فهو خير، ولو أن الشيء الفلاني لم يحصل لما وُفقت في هذا الأمر، وترى الأمور بمقاييس مختلفة، وتلمّس حكمة الله حين ترى أن الأمر الذي كنت تطلبه لم تكن حينها أهلًا له، فيمتلئ قلبُك يقينًا وتسليمًا لأمر الله، تأمّل حكمة الله في كل ما يجري حولك، لو رأينا الأسبوعين الماضيين كانا أسبوعين غريبين، المفترض ألا تمر عليك مرورًا عاديًا، (حيث انتشر الجراد في المنطقة بعد المطر)، لماذا نتعامل معه على أنه شيءٌ عادي؟ مع أن الله -عزوجل- لما تكلم عن الآيات التي أخذ بها آل فرعون ذكر منها "الجراد"، فوجوده بهذه الكثرة ليس أمرًا معتادًا، يحدث أحيانًا أن يأتي الغبار يومين أو أكثر، من قال أنه أمرٌ عادي؟ (غبار عادي وليس بنا إلا العافية) يقول -تعالى-: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ" (الحج: 47)، لا تستعجل عذاب الله، "وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء: 59)، كانت الأقوام إذا جاءها العذاب يظنون أنه عارضٌ ممطرهم، أنها غيمةٌ سوداء، وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- كان كلما رأى سوادَ الغيم تغيّر وجهه، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ المَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الكَرَاهِيَةُ، فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ العَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا" أخرجه البخاري، صحيح.

فالعالم بالله-عزوجل-والمتأمل في حكمته وسننه في الكون يقيس عليها ويسأل نفسه: عملي الذي يصعد من الأرض إلى الله ماذا يستحق من الجزاء؟

4- السبب الرابع هو: **أن تصاحب الصالحين.**

ففي سوره الكهف التي موضوعها النجاة من الفتن، جاء الأمر فيها بصحبة الصالحين،قال الله -عزوجل-:"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" (الكهف: 28)،لاحظ قوله: "واصبر نفسك"؛ لأن هؤلاء لن يدعوك إلى جلسة مليئة بالنكت والكذب والأفلام تلو الأفلام أو الاجتماع على اللهو والرقص، بل هم يدعون ربهم بالغداة والعشي، فقال:"اصبر نفسك" حاول أن تكون معهم، واصبر على هذه المجالس، املأ جدولك بحضور مجالس هذه الصحبة، لأنك لابد أن تُجالس وتتأثّر، فإما صحبة خير، وإما صحبة شر، فتّش في الناس الذين هم من حولك، ستجد أن منهم صحبة كلما التقيت بهم روّوا قلبك بالخير، ومنهم صحبة تعلم أن لقياهم يفتح أبوابًا من الشر، شبّه النبي -صلى الله عليهم وسلم- الصاحب بحامل المسك ونافخ الكير، قال -صلى الله عليه وسلم-: "مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة"[أخرجه البخاري، صحيح].

5- السبب الأخير هو: **قُربك من المَلَك.**

فالإنسان إما أن يحثُّه صوت الخير أو صوت الشر، وفي الحديث: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً" أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.، فكل واحدٍ منا عليه أثرٌ هذه اللمة، إما لمةُ الملك التي هي إيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، وإما لمةُ الشيطان والتي هي إيعادٌ بالشر وتكذيبٌ بالحق،

ونتذكّر هنا حديث دعاء الخروج من المنزل، وتنحّي الشيطان عن من يقوله، قد تتكرر على الإنسان مواقف يشعر بداخله حينها أن هناك داعٍ للخير وداعٍ للشر، فمثلًا إذا أردت الذهاب للدرس يأتيكَ صوت الشر ويقول: كأني تعبان، لا أرغب بالذهاب. ويقول صوت الخير: هي ساعة واحدة لن تضرك، ستخرج سريعًا ثم تعود للراحة. وهكذا تبقى في جدالٍ بين الصوتين، هذا الجدلُ الذي يجري في حديثِ النفس هو حديثُ الملك وحديثُ الشيطان، كلما كانت قراراتك أقرب إلى صوت الملك كان داعي الخير في نفسك أقوى، وكلما استجبت للشيطان صار داعي الشر في نفسك أقوى وأشد تأثيرًا في حياتك، كما أن الملائكة تبعد عن مواطن العري، ولذلك تشعر في الأماكن التي يكثر فيها الفحش والتعري والإسفاف بكآبة في النفس وثقل في الصدر، مع أن ظاهرهم الانبساط، ولكنّ حقيقتهم خلاف ذلك، ومجرد أن تخرج من المكان ينشرح صدرك وترتاح، بخلاف الأماكن التي ينتشر فيها الستر، فرق بين مكان ليس فيه إلا الشياطين، وآخر تحضره ملائكة الرحمن.

" ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى بابالصراط داع يقول: أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعا، ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم "[أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح].

فالأبواب مفتحة ليست مغلقة، والستور مرخاة عليها لو فُتحت يمكن الدخول مباشرة من الباب المفتوح، يضرب لنا النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا المثل ويذكرنا بصوت يرافقنا طول الطريق، صوت ينادي لا تتعرّجوا، كن مستقيمًا، أما الستور فقد تكون في ظاهرها بمسميات مشوقة، فإذا فتحته ولجته، وأما الداعي على رأس الصراط فهو القرآن، والداعي فوق الصراط فهو واعظ الله في قلب كل مسلم، فمن رحمة الله بك أنه لن يخلّي بينك وبين شيطانك وأنت مختلٍ بجهازك أو كنت في مكان لا يراك فيه أحد إلا الله، بل يجعل معك جنديًا وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن! يأتي هذا الواعظُ قبل أن يفعلَ العبدُ المؤمنُ الذنب، حتى وإن كان صوتُه ضعيفًا -وأنت من ضعّفه- لكنه يظلّ موجودًا، يحذّرك ألا تفعل، يقترح عليك البدائل، ينادي بك: ويلك لا تفتحه!

موانع الهداية:

من الذي يُحرم من هذه الهداية؟

1- يقول الله -تعالى-: "وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (آل عمران: 86)، **والظلم** أنواعٌ، منها: ظلم العبد لنفسه، بفعل السيئات، (ترى أحدهم شاحب الوجه وحول عينيه هالات، فإذا سألته ما بك؟ قال: سهرت البارحة على متابعة مسلسل وشاهدت سبع حلقات!...) نحن نظلم أجسادَنا، عيونَنا، وقبل ذلك أنفسَنا عند الله -عز وجل-.

2- كما يُحرم من الهداية **كلّ كاذب كفار**، يقول -تعالى-: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ" (الزمر: 3)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «...، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا، ...» أخرجه النسائي، وقال الألباني: صحيح.

3- **الإسراف**، فهو يحرمُ العبدَ الهدايةَ، في الدنيا، وفي كل الأحوال، حتى في المشاعر،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ-رضي الله عنه- أُرَاهُ رَفَعَهُ ـ قَالَ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح..

4- ومن الموانع أيضًا: **الفسق**، "إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (المنافقون:6).

5- وآخر الموانع: **الشبهات والشهوات**.فإياك أن تسرف في المعصية، فإذا غلبتك يومًا وفعلت ذنبًا فارجع مباشرة إلى ربك ولا تسرف في المعصية، ولا تستلذّ بها، سقطت؟ انهض بسرعة منها، ولا تتمرغ فيها، قال الله -عز وجل-: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80)وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ" (النمل:80، 81)،من هم هؤلاء العمي الذين لا يهتدون؟ هم أناس يعيشون بيننا، عيونُهم ترى كلَّ شيء إلا الهدى، إذا رأوا شرًّا فتحوا أعينَهم، وإذا رأوا خيرًا صاروا عميًا لا يبصرون ولا تتحرك قلوبُهم، احذر أن تكون من هؤلاء.

وقفة:

قالها إبراهيم -عليه السلام- في قول الله تعالى:"وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ" (الصافات: 99)،يقال: حينما تتعلم اسمًا من أسماء الله الحسنى فاذهب إليه بذُلّك يأتيك الله -عز وجل- بعزّته، واذهب إليه بفقرك يأتيك -سبحانه- بغناه، واذهب إليه بحيرتك واسترشادك وتعبك في الطريق سيهديك ويقويك.

نختم بهذا المحور، وهو: كيف تكون عبدًا هاديًا مهديًا؟

حين نسأل الله باسمه: الهادي، فإننا نستحضر هذا المُراد، أن يدخلنا برحمته في عباده الهادين المهديين، قد يجدك الله -عز وجل- محتارًا تائهًا، فيلهمك رشدَك وصوابَك، ويحرفك عن طريق الضلال إلى طريق الرشاد، بل ويهدي إليك الأمور التي توصلك إلى الطريق.

وحين تتأمل في أفعال الله -سبحانه- ستجد أمورًا عدّة كنت تظنها صدفة، لكنها ليست كذلك! إما آية تسمعها، أو مقطعًا يصلك في وقته، وهذي من هدايات الله -عز وجل- لك.

أمثلة في الهداية:

- كيف هدى الله جبير ابن مطعم -رضي الله عنه-؟ يقول: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: "أَم خُلِقُوا مِن غَيرِ شَيءٍ أَم هُمُ ٱلخَٰلِقُونَ (35) أَم خَلَقُوا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (36) أَم عِندَهُم خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَم هُمُ ٱلمُصَيطِرُونَ" (الطور: 35 – 37)، قال: "كاد قلبي أن يطير"، دخل مشركًا ففتّت القرآن ذلك الشرك الذي في صدره، وهداه إلى الإسلام، أراد الله له أن يأتي ويسمع القرآن فيهتدي به.
- ابن تيمية -رحمه الله- وهو من كبار العلماء، كان إذا ازدحمت الأقوالُ في رأسه والتبست عليه المسألة يخرج خارج أسوار المدينة، ثم يمرّغ وجهه في التراب، ويقول: "يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني"، فتُفتح له المسائل.
- من أعظم المنن أن يهدي الله -عز وجل- التائهين إليه، وقد تأتي الهداية في ورقة مُلقاة على الأرض، يقول بشر بن الحارث -رحمه الله-: كنت رجلًا عيارًا صاحب عصبية، فجزت يومًا فإذا أنا بقرطاس في الطريق فرفعته فإذا فيه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فمسحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما فذهبت إلى العطارين فاشتريت بهما غالية ومسحته في القرطاس.
فنمت تلك الليلة فرأيت في المنام كأن قائلا يقول: يا بشر بن الحارث! رفعت اسمنا عن الطريق وطيبته لأطيبن اسمك في الدنيا والآخرة! ثم كان ما كان".

- أتعجب من هذا؟ أم من الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار، الأول ردّ الأمانة، والثاني إنسان صالح بار بوالديه لا ينام حتى يسقيهما اللبن، لا عجب في قصتيهما فهما رجلان صالحان فرّج الله عنهما، لكن الثالث لم يكن كصاحبيه، والدليل أنه كان يراود ابنة عمه، وكان يبتزها، حتى جاءت إليه حينما أصابها الفقر، وطلبت منه مبلغًا، فقال لها: لا أعطيك حتى تمكنيني من نفسك. كان يراودها عن نفسها فترة ليست باليسيرة، ثم لما جاءته محتاجة ابتزَّها، فلما تمكَّن منها وقدر عليها، قالت: اتق الله! ولا تفضَّ الخاتم إلا بحقه.

"اتق الله" زلزلت كيانه، وأحرقت ما في نفسه من الشهوات، واستثارت الخير الموجود فيه، ثم هداه الله أن يدعو بهذا العمل فيكون من الثلاثة الصالحين الذين نتدارس قصتهم إلى اليوم.

ولذلك لا تظن أن الهداية بعيدة، وافعل الخير ولا تستقلّ منه شيئًا، فقد يكون هو مهر الجنة ومهر الهداية الذي تدفعه.

إذا أردت أن تكون عبدًا هاديًا مهديًا:

1- أولًا: **أن تجاهد**. قال الله -عز وجل-: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا" (العنكبوت: 69)، فنحن في طريقنا ليس لدينا معجزات، فننقاد لفعل الخير دون صعوبة، لا، بل إن الطريق لابد أن تبدأ خطوته الأولى منك، لا بد أن تجاهد نفسك، وأن تحارب شيطانك، وإذا جاهدت سيرى الله جهادك، فيهديك، ويهديك هداية فوق الهداية، إلى أن تتلذذ بتلك الهداية، لكن الخطوة الأولى لابد وأن تكون منك.

2- ثانيًا:**أن تتقي الله**. والتقوى: أن تكون بينك وبين محارم الله حاجز ووقاية، فلا تكن في اجتناب المحرمات وفي عمل الطاعات على شفى جُرف، ولا تجعل بينك وبين النار شبرًا واحدًا، إذا استطعت أن تجعل بينك وبين النار سبعين سنة فافعل، فإنك والله لن تطيق أن تجرب حرّها، وحين نتأمل أول الآيات التي نقرأها في القرآن: "هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" (البقرة: 2)، ثم يصفهم ربنا -عز وجل- ويمتدحهم: "أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (البقرة: 5)، اهرب من أي شيء محرم، لا تكن ممن يتعبد الله -تعالى- على الخط الأخير، ابحث عن الأفضل في جنب الله والأكمل، وافعله، لا تأخذ دائمًا بالأقل.

3- ثالثًا: **الاعتصام بالله**. قال الله -تعالى-: "وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" (آل عمران: 101)، وما هو الاعتصام؟ لو هبّت عليك ريح شديدة من الفتن (عرض مغري، سفر، أو تعليقات ساخرة...) وأنت متمسك بقرارك: لقد اتخذت قرارًا ألا أعود إلى ذاك الذنب، فقد تركته لله. والريح شديدة تدفعك حتى تأتي ما تركت، هنا نقول:لا ترخي يديك.

واقرأ وتدبر في آية الكرسي والآيتان اللتان بعدها، تأمل فيها حتى تدرك عظمتها، التمسك بالعروة الوثقى

هو الاعتصام بها، أن تتمسك بحبل الله، وتلوذ وتفرّ إلى الله -عز وجل-، فحين تأتي الرياح لكي تدفعك حتى في تلك اللحظة التي تظن فيها أنك وصلت إلى أضعف نقطة يتنزل تأييد الله ونصره، وتذكر: "وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (الفرقان: 31).

4- رابعًا: **التخلّي عن موانع الهداية.** من كفر، وظلم، وفسق، وكذب، وغيرها مما سبق ذكرها.

5- خامسًا: **أن تدعو إلى الله.** الدعوة إلى الله هي أعلى مقامات العبودية، وعلاقة الدعوة إلى الله باسم الله الهادي: لأن الجزاء من جنس العمل، فكما أنك تهدي الناس إلى طريق الله، يكون شكر الله لك بأن يهديك ويثبت قلبك، فكل معلومة بسيطة تتعلمها لا تتردد في تبليغها لأحدهم، أوصل الخير وانشره، فإن الشر لا يعمّ ويظهر إلا إذا توقّف صوت الخير، كلما تعلّمت شيئًا من الخير أوصله لغيرك،جاء في الحديث: "فرب مبلغ أوعى من سامع" [أخرجه البخاري، صحيح]

قصة:

دخل رجل المسجد، المسجد الذي يصلي فيه دائمًا، فإذا بإنسان بعد الصلاة يقول فائدة، يقول قوله-صلى الله عليه وسلم-:"كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" أخرجه البخاري، صحيح. قام رجل كبير في السن لم يسمع بهذا الحديث من قبل، قال له: ما تقول؟ فقط هاتان الكلمتان: "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" يترتب عليهما هذا كله؟ قال له: نعم. قال المسنّ: أعد، فقال الرجل:قال -صلى الله عليه وسلم "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" أخرجه البخاري، صحيح قال له: أعد. حتى حفظ المسنّ الحديث، وصار أينما ذهب يردده، وينشره، وأصبحت ديدنه، حتى كان يوم من الأيام، تعرّض الرجل لحادث، ودخل المستشفى، وحين اجتمع عليه الأطباء وهو في الطوارئ قال للطبيب: يا دكتور!: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ" أخرجه البخاري، صحيح ، والذي يحدّث بالقصة هذا الطبيب، يقول ظلّت الكلمة تدور في رأسي، بدأ يراجع نفسه: ما الذي فزت فيه في مشواري في الطب؟ كيف غفلت عن ربي! وكيف لمثل هذا الإنسان وهو في هذه الحالة في الطوارئ وبين المغذّيات والإبر والإنعاش، وكل همّه أن يوصل إليَّ هذا الحديث، فينقلب هذا الطبيب من أكبر الدعاة إلى الله -عز وجل-.

مراتب الهداية:

يقول ابن القيم: الهداية عشر مراتب:

- المرتبة الأولى: **العلم والبيان**.

وماذا يريد الإنسان بعد العلم؟، أن يقدر على العمل به، لذا كانت المرتبة التي تليها:

- المرتبة الثانية: **القدرة**.
- المرتبة الثالثة: **الإرادة**.

لأنه من الممكن أن تكون عندك القدرة وأنت في شبابك وبصحتك وبقوة شخصيتك، لكن ليست لديك إرادة.

- المرتبة الرابعة: **هداية الفعل**.
- والخامسة: **الثبات**.

قد تكون فعلتها أول السنة، أو في بداية رمضان، لكن حتى تستمر عليها فإنك تحتاج إلى الثبات.

- والسادسة: **أن يصرف الله عنك الموانع**.

فلا يكون في طريقك تلك الابتلاءات الكبيرة والموانع التي تصرفك عن الهداية، فيرحم الله ضعفك ويرحم خطواتك المرتجفة على طريق الحق، ويصرف عنك الموانع.

- السابعة: **الهداية الخاصة**.

يلهمك الله في هذه المرتبة -مثلًا- طريقة في حفظ القرآن، أصبح بعدها حفظك له متقنًا يجري كالماء، أو طريقة معينة في صلاتك إذا فعلتها فإنك تخشع فيها.فيهديك الله هداية خاصة تجد معها نفسك استطاعت أن تفعل الطاعات مع نوع خصوصية.

- المرتبة الثامنة: **أن تشهد مقصود الطريق**.

فترى آثار أفعالك، لو كنت إنسانًا عصبيًّا، أو كلامُك سيئًا، ثم تجد نفسك تغيرت مع المحافظة على صلاة الضحى أو تغيرت مع الوتر، أو تغيرت مع صيام الاثنين والخميس، شعرت بأن نفسك أكثر سكينة وهدوء، وهذا الشهود تمهيدًا للهداية الأخيرة وهي هدايته إلى الجنة.

- وأما التاسعة: **فهي أن يُشهدك فقرك وضرورتك إليه**.

فلا تغتر ولا تعجب بنفسك بعد أن نلت الهداية الخاصة وشهدت آثار الهداية، فتشعر أنك بلغت وتزكي نفسك، فتحس دائمًا بالحنين إلى الله -عز وجل- والحاجة إليه.

- وأما العاشرة: **فهي قول الله -عز وجل-:** "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" (البلد: 10).

أي أن الله يريك الطريقين، فيريك نعيم أهل الجنة ويريك عذاب أهل النار في الدنيا، فترى من كآبتهم، وضيق نفوسهم من الحياة ومن أقدار الله فيهم ما يجعلك تثبت في طريقك.

ختامًا:

هذه لمحات من اسم الله الهادي، وبقي أن نقول بأن القاعدة تقول: الجزاء من جنس العمل.

فإذا هداك الله في الدنيا وسلكت صراطه المستقيم، فإنه يهديك إلى صراطه المستقيم في الآخرة، فيجعلك تجوزه، ذاك الصراط الذي يستعيذ الناس من أهواله، يمنّ عليك -سبحانه- بأن يجعلك تمرّ عليه بحسب سيرك في الدنيا، فمنهم من يمشي بطرفة عين، ومنهم من يمشي كالراكب السريع، ومنهم من يمشي تارة ويسقط تارة، وعلى قدر الشهوات والشبهات التي تخطّفتهم في الدنيا؛ تتخطّفهم تلك الكلاليب في صراط الآخرة، ففي كل مرة تسقط فيها بكلاليب الشهوات أو الشبهات تذكر كلاليب الصراط؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فلن نُجازى أو نُفاجأ يوم القيامة بغير ما قدّمناه في الدنيا، لكننا في الدنيا لا نراها، وفي الآخرة ستكون عيانًا، إما سيرًا قويمًا، أو سيرًا أعوجًا.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن هداهم إلى الصراط المستقيم، وأن يغفر لنا ويرحمنا، وأن يهدينا سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها